

الشعائر الحسينية بين الماضي والحاضر (زيارة الأربعين أنموذجاً)

أ.م.د. عبير خليل إبراهيم المسعودي
كلية التربية الاساسية - جامعة بابل

basic.abir.khalil@uobylon.edu.iq

ملخص البحث

الحمد لله الذي جعل من تعظيم شعائره من تقوى القلوب، وكتب لمن قدس حرماته محو الذنوب، وشاء ان يتم نوره ويعلو ذكره على مر الدهور وتصرف الخُطوب، والصلاة والسلام على اشرف الخلق وحبيب رب العالمين محمد ﷺ يُقدم هذا البحث موضوع الشعائر الحسينية المباركة، وعن نهضة الحسين بين الماضي والحاضر من محورٍ تاريخيٍّ، يطرح فيه الأهداف والغايات السامية من تلك الشعائر، والمتمثلة بمجالس ومواكب ومراثي ومسيرات حزنٍ وغيرها متخذين من زيارة الحسين مثلاً، فهي مدارس يتعلم المسلم فيها نصره الدين والإحساس بالمسؤولية الشرعية للحفاظ على رسالة السماء، ويتلّقن فيها صور الجهاد، ويتعرف على أشكال التضحية لنصرة القيم الفاضلة والمبادئ السامية للدين الحنيف، ويعيش بكل تصميم وإرادة لترك الدنيا، والتغلب على ملاذها وشهواها المؤقتة، وما الشعائر الحسينية إلا مدارس يعي فيها المسلم كيف يقدم كل ما يملك في سبيل عقيدته، ويتعلم فيها أسس التضحية والفداء، وسبل تضميد الإسلام الجريح، ويبدل أعلى ما يملك للدفاع عن حريم المبدأ الحنيف.

الكلمات المفتاحية: الشعائر، زيارة الأربعين، الإمام الحسين، الطقوس الدينية.

Husseini rituals between the past and the present (Visiting the forty models)

A.M.D. Abeer Khalil Ibrahim Al Masoudi
College of Basic Education - University of Babylon

Abstract

Praise be to God who made glorifying His rituals a form of piety in the hearts, and He decreed for those who sanctify His sanctities the erasure of sins, and He willed that His light be perfected and His remembrance rise above the ages and betrothals be fulfilled. May blessings and peace be upon the most honorable of creation and the beloved of the Lord of the Worlds, Muhammad, may God's prayers and peace be upon him and his family and companions.

This research presents the topic of the blessed Hussein rituals, and the renaissance of Hussein between the past and the present, from a historical axis, in which it presents the lofty goals and objectives of those rituals, which are represented by assemblies, processions, lamentations, mourning marches, and others, taking the visit of Hussein as a model. They are schools in which the Muslim learns to support the religion and feel a sense of legal responsibility. To preserve the message of heaven, in which he learns the forms of jihad, learns about the forms of sacrifice to support the virtuous values and lofty principles of the true religion, and lives with all determination and will to leave the world and overcome its temporary refuge and desires. The Husseini rituals are nothing but schools in which a Muslim understands how to offer everything he has for the sake of His faith, in which he learns the foundations of sacrifice and redemption, and ways to

heal the wounded Islam, and gives the most precious thing he has to defend the harem of the true principle.

Keywords: rituals, Arbaeen visit, Imam Hussein, religious rituals.

المقدمة

من خلال بحثنا هذا تطرقنا إلى مصداقية الشعائر الحسينية بالإسناد إلى الأدلة القرآنية والسنة النبوية والعلوية، مما يزيل الريب والشك في كون تلك الشعائر والمظاهر الحسينية من أركان الشريعة المقدسة، وعلى سبيل المثال في الحث على البكاء على الحسين ولبس السواد وأنها سنة قرآنية، وفي فضل زيارة الأربعين وربطها بسمات المؤمن، ويهدف هذا البحث إلى إعطاء القوة الكافية للدفاع عن تلك المبادئ الحقة ولرد الشبهات والانتقادات التي تثار حول الشعائر الحسينية بين الماضي والحاضر، فضلاً عن ما قدمناه من رؤيا تاريخية للشعائر الحسينية بشكل عام ولزيارة الأربعين بشكل خاص، ولم نغفل عن دور العقيلة زينب بنت علي ابن ابي طالب عليها السلام، في تكملة النهضة الشاملة التي بدأتها مع أخيها الحسين عليه السلام عندما اتخذت من مجالس عزاء الحسين ثورة وانتفاضة، أدت من خلالها دوراً دافعت فيه عن ثورة أخيها الحسين الذي قدمته قرباناً لله تعالى حينما قالت: « ربنا تقبل منا هذا القربان » وإن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى»، وان مسيرها مسببة هي ومن معها من بنات النبي والرسالة الإسلامية من العراق الى الشام كانت نبراساً للأحرار على مر السنين، وما سيرهم مشياً على الإقدام الى ضريح الإمام الحسين إلا رفضاً لتلك الصورة المؤلمة التي تمثل انحراف القيم الاسلامية على يد بني أمية والعمل على عدم تكرارها وتصحيح مسيرة الإسلام والمسلمين.

قُسم البحث إلى محورين أساسيين الأول كان تحت عنوان «الشعائر الحسينية في الفكر الإسلامي» ومنه طرحنا

أولاً- النهضة الحسينية ومدلولها العقائدي في القرآن والسنة، وثانياً- مدلوليات الشعائر الحسينية في الفكر الإسلامي، وفي المحور الثاني الذي حمل عنوان «الشعائر والطقوس الحسينية وعلاقتها بأهداف النهضة الحسينية (زيارة الأربعين أنموذجاً)» أولاً- بدايات وجذور الشعائر الحسينية (زيارة الأربعين)،

ثانياً - الدور النسوي وأهميته في الشعائر الحسينية وأنعكاساته على الوعي الاجتماعي والسياسي.

وقد دعمّ بحثنا بمصادر ومراجع معتمدة، وتم الاستئناس بأراء بعض العلماء الأجلاء والذين كان لهم دور في دحض الآراء التي كان هدفها وغاياتها الخط من قيمة ومنزلة تلك الشعائر الحسينية، وبأسلوب علمي معتمد على القرآن والسنة المحمدية والعلوية، وبهذا قد حاولنا رفع بعض الشبهات، وقدمنا ما يمكن ان يوضح أهمية الشعائر الحسينية وبالأخص زيارة الأربعين التي تطرقنا لها بشيء من التفصيل، فطرحنا بداياتها وجذورها، وأهميتها وانعكاساتها على نجاح النهضة الحسينية، وما توفيقنا إلا من عند الله فله الحمد أولاً وآخر...

المبحث الأول الشعائر الحسينية في الفكر الإسلامي

أولاً- النهضة الحسينية ومدلولها العقائدي في القرآن والسنة:

إذا ما أردنا الوقوف على ماهية الشعائر الحسينية المستمدة من وحي النهضة النهضة الحسينية، فلا بد لنا من العروج على تلك النهضة الإسلامية التي تمثلت بثورة سبط الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الحسين عليه السلام الذي قدّم وجاد بكل ما يملك من أهل ومال ونفس فكان في غاية الجود والكرم من أجل إحقاق الحق ونصرة الدين، فلولا تلك النهضة لما دام الدين ولما استمرت راية الإسلام تصدح بصوت القرآن الكريم، فلزاماً علينا الوقوف والتأمل بمعانيها السامية وغاياتها التربوية من خلال تقديم تحليلاً تاريخياً موثقاً بأدلة مستوحاة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية والعلوية العطرة وفيما يلي أهم الأهداف التي جاءت بها النهضة الحسينية: (الاصفهاني، ١٣٨٣هـ، ص ٢١٥)

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنّ أول ما دعا إليه الحسين عليه السلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد أشار إليه في وصيته قبل خروجه من المدينة: (الصدوق، ١٤٠٨هـ، ص ٣٢١) «إني لم اخرج آشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنه عن المنكر واسير بسيرة جدي وأبي علي بن ابي طالب عليه السلام». (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ص ٥٩)

إن باب المعروف والنهي عن المنكر باب اوسع من الجهاد وأوسع من القضاء

واوسع من الحدود والقصاص وأوسع من كل الابواب الفقهية، وهو باب قد تسالم (اليزدي، بيروت، ط ١٤٠٩هـ، ص ٣١٢) عليه الفقهاء، وليس معنى المعروف مقتصر على المعروف الفردي، ولا المنكر يقتصر على المنكر في الممارسة الفردية، بل هناك المعروف الاجتماعي والمعروف الفكري والعقائدي وهناك المعروف الاقتصادي والمعروف السياسي والمعروف الحقوقي وغيرها، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم وواسع وذو أهمية بل من أعظم الواجبات الدينية قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (ال عمران، ١٠٤)

وفي قول رسول الله محمد صلى الله عليه واله وسلم « كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر »

وقد ورد عن الائمة الطاهرين أن الامر بالأمر بالمعروف تقام الفرائض وتأمين المذاهب وتحل المكاسب وتمنع المظالم وتعمر الأرض ويتصف للمظلوم من الظالم ولا يزال الناس بخير ما امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، وكل ما يفرزه المجتمع من انحراف فكري وسلوكي ورذائل خُلقيّة، (العبيدي، ايران، ١٤٠١هـ، ص ٢٨) انها هو بسبب ترك هذه الفريضة العظيمة وهذا الباب المهم يتناغم مع الشعائر الدينية نفسها بما يتضمنه من البث الديني والإعلامي، فللشعائر نحو من المساخنة القريبة مع باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (الاصفهاني، ايران، ص ٨٩)

٢- المطالبة بأحقيته في الخلافة:

وهو يفسر لنا ايضاً معنى الشعائر الحسينية، ومعنى تخليد ذكره وهو ما جاء

في كلامه عليه السلام حينما دعاه الوليد بن عتبة وهو في المدينة لبيعة يزيد، فقال عليه السلام: «إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرمة مُعلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالبيعة والخلافة» (المجلسي: ص ٤٤ - ٣٢٥ - ١٧).

فكان الإمام الحسين عليه السلام اشدّ تصلباً في هذا الأمر وقد علل خروجه بهذا لما يمثله هذا الموقف من رفض اغتصاب الحق والدفاع عنه ما دام فيه رضا لله ونصر لدين الاسلام.

٣- الدفاع عن نفسه الشريفة وعن حريم رسول الله:

اتضح ذلك جلياً من خلال قوله عليه السلام في يوم عاشوراء: «الا أن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات ما أخذ الدنية، يأبى الله ذلك ورسوله وجدود طابت وطهرت، وانوف حمية ونفوس أبية لا تؤثر مصارع اللئام على مصارع الكرام» (ابن الجوزي، ص ١٨٩؛ بحار الانوار ٤٥).

وفي هذا واجب شرعي في الدفاع عن النفس وعدم الهوان، ولإمام الحسين رؤية في ذلك أنه يعلم ان يزيد خائن وان قتله لا محال ولهذا نراه قد خرج من مكة قبيل الحج حتى لا تستباح مكة المشرفة ولا تنتهك حرمة المسجد الحرام، وهذا بحد ذاته درس وعبرة للمسلمين بالحفاظ على حرمت الدين ومقدساتهم. (العبيدي، ١٤٠١هـ، ص ٢٠٠).

٤ - نهضته من اجل إقامة الإمامة والولاية الإلاهية:

أذ أن نكيره لبيعة يزيد وخلافة يزيد هو بدوره نوع من التبليغ ونشر لمفهوم الإمامة والدعوة إلى إمامتهم (عليه السلام)، وما قوله إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، الاشارة الى الاختلال الذي حصل في الخلافة الأولى والثانية والثالثة وهذه عبارة عن إحياء حقهم (عليهم السلام) في الولاية والإمامة وتطبيقاً جلياً لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشاملة للأمر الاعتقادية بكل أبعادها واشكالها.

ومن هذا نستنتج أن تحليل الشعائر الحسينية يرجع إلى العلامة على الاغراض والغايات والاهداف التي نهض الحسين (عليه السلام) لأجلها فهي ذكرى تخليد إعادة إحياء لتلك الغايات والمبادئ التي نهض عليه الصلاة والسلام لأجلها. (الطبرسي، ص ١٢٠)

ثانياً- مدلوليات الشعائر الحسينية في الفكر الاسلامي:

بناءً على ما تقدم من بحث دوافع واهداف نهضة الإمام الحسين، وجدنا ان الشعائر الحسينية صورة لتلك الثورة فقد برجة اغلبها اهداف وغايات الإمام الحسين ونخصها في زيارة الاربعين، (النوري، ط ١٤٠٨هـ، ص ١٩٠) فهي مثلت تحدي لكل طواغيت العصر وكانت فرصة لإثبات مقدار الايمان بالرسالة المحمدية وبثورة الإمام الحسين وذلك من خلال ما قدمه أحباب الحسين من توضيحات وعلى مر العصور واثبات المواقف الرافضة لكل اشكال الظلم و مسيرة من اجل تصحيح مسار المسلمين (الاصفهانى، ايران، ص ٥٤) أما الأدلة القرآنية التي تؤكد على الامر بالمعروف والنهي والمنكر ففي قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، مما يدل على ان الشارع يريد إحياء هذه الفريضة و تقديم هذه الأمة وأفضليتها على سائر الامم الأولين

والاخرين، وما الشعائر الحسينية الا تحقيق لهذه الفريضة فان الاغراض والغايات المطوية في النهضة الحسينية لا بد انها تنتهي بالتالي الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، اذ تجدد إنكار كل مظاهر الإنحراف السارية في المجتمع، واقامة كل معروف غُفل عنه أو هجر من حياة الأمة الإسلامية على الصعيدين السلوكي والعقدي، وفي ذلك نوع من الصحوة والسلامة والتوبة الدينية من خلال مواسم ومراسم الشعائر الحسينية. (الجوزي: ٨٩)

وفي قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، مقتضى أدلة فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستلزم في مقدماتها التذكير بهذه الفريضة وإحيائها عبر إحياء الداعي النفسي لدى المؤمنين والمتدينين وتحريضهم نحو اداء هذه الفريضة واكبر تحريض هو نفس ما قام به الإمام الحسين ابو الاحرار وسيد الشهداء (عليه السلام)، (الجزائري، ايران، ١٤١٨هـ، ص ٥٩) من ايقاظ الناس من سباتهم العميق وإحياء نفوسهم بالعدل والهدى، وتحريرهم من الظلم والرذيلة والهوى، وتربيتهم على عدم الخنوع والخضوع للطغاة والتخاذل، وذلك بإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمل كلف الأمر، وأينما بلغت التضححية. (النقدي، ١٤٢٠هـ، ص ٢٠٠)

ومن الأدلة القرآنية قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، ومن المودة التآسي بهم، والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم، والمودة في اللغة تفرق عن الحب فالحب قد يكون أمراً باطنياً أما المودة فهي تعني المحبة الشديدة التي تلازم الظهور، وفي آية اخرى: «قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءؤا منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا

وبينكم العدو والبغضاء أبداً « (المتحنة: ٤)، وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (المتحنة: ١٣)، وهذه الآيات الكريمة بمجموعها تصب في مصب واحد (يوسف، طهران، ١٤٢٠ هـ، ص ١١٣)، وتعتبر دليلاً معتمداً في باب الشعائر الحسينية إذ أن الأسى والتألم لمصائبهم والحزن لحزنهم هو نوع من التولي لهم والتبري من أعدائهم، ويكون كاشفاً عن التضامن معهم والوقوف في صفهم ﷺ. (المظفر، بيروت، ص ٦٩)

وتنقسم الشعائر الحسينية إلى الخطابة والشعر حول واقعة كربلاء وكتب التاريخ التي تروي القصة كاملة، والعزاء بأقسامه «البكاء، والطمم والضرب بالسلاسل والتطير ومواكب المشاعل والتشبيه» وغيرها من اقسام الشعائر الحسينية لكن اهمها هو زيارة الاربعة لما تمثله من وحدة في صفوف المؤمنين وتوحيد غاياتهم ونواياهم في نصرة الإمام الحسين ومواساة ال بيته الكرام وذلك بإحياء تلك المسيرة التي جسدها زينب العقيلة والإمام زين العابدين ﷺ عندما رجعت قوافلهم لرد الرؤوس الى الأجساد، لم تكن مسيرة فحسب بل كانت انتفاضة ضد الباطل وتأكيداً لإهداف النهضة الحسينية الثورية، وأن تقسيمات الشعائر الحسينية واجزائها لا تنحصر على ما ذكرناه بل تشمل صور ونواحي الإعلام في الشعائر الحسينية مثل لبس السواد وهو الزي الخاص المعبر عن الحداد والحزن واستخدام الرايات والإعلام في الحسينيات والمواكب والشوارع العامة.

ولا بد من الإشارة الى حرص المؤمنين على ممارسة هذه الشعائر على مر العصور، مع المبالغة في بذل الجهد العلمي والعملي، لان وفرة الجهود العلمية تحول دون الإندراس الوثائقي لهذه الحقيقة الدينية التاريخية العظيمة، (العظيمي،

١٤١١هـ، ص ٢٣١) لا سيما مع تطاول القرون والعصور ولهذا لا بد من المواظبة على حفظ الموازين الشرعية والتوصيات العامة فيها، ومنها حفظ الأخلاق والآداب والالتزام الديني، لإجتنب ضياع وخسران الأهداف التي جُعلت الشعائر الحسينية من أجلها. (المفيد، ص ٢٠٠)

المبحث الثاني

الشعائر والطقوس الحسينية وعلاقتها بأهداف النهضة الحسينية (زيارة الأربعين أنموذجاً)

أولاً- بدايات وجذور زيارة الأربعين الحسينية:

لقد كانت أيام شهر محرم وما زالت استذكراً لما جرى على البيت الرسول صلى الله عليه واله، ولا تزال مأتماً سنوياً للأحزان والألم عند الشيعة منذ مجزرة كربلاء سنة احدى وستون للهجرة، وأن اول من ندب الحسين وابكاه بعد مقتله، هي زينب الكبرى عليها السلام، بل هي من اسست الشعائر الحسينية واخذ منها الشيعة مراسيم العزاء، فهي من لطمت وهي من نطحت رأسها بالمحمل وهي من اتت ماشية لزيارة اربعينية الإمام الحسين عليه السلام (الطريحي، ١٤١٣هـ، ص ٣٠٠)، وقد اتخذت من مجالس العزاء منبراً لفضح الامة ونصرة الإمام الحسين عليه السلام، حتى ضج منها الولاية وامروا بإخراجها من المدينة الى مصر ومن مصر الى الشام، (قولويه، ١٣٥٦هـ، ص ٨٠) ولولا قيامها بتلك الطقوس ورفعها شعار الحزن لما وصلت اليها ثورة الإمام الحسين بمعطيها الغرة، فكان بكائها وحزنها وندبها ثورة بكل معاييرها حتى اقلقت مضاجع الظالمين من بني أمية، فأصبح عادة لأل بيت النبوة واخذ أئمتنا عليهم السلام ينصبون مجالس العزاء ويعلنون الحداد في شهري محرم وصفر الحرام من كل عام. (المجلسي: ص ٢١٣)

لقد كان موقف الأئمة عليهم السلام من تلك المآثم هو الحث عليها والترغيب بها منذ قتل الحسين عليه السلام، (القزويني، ١٤٢٠، ص ٢٠٠)، وهذا من جملة الدوافع التي جعلت الشيعة يلتزمون بدون انقطاع في كل بلد حلوا به، على الرغم مما كانوا يتعرضون له من الحاكمون من جور وإرهاب فلم يفلحوا في كبح ذلك التيار الشيعي الجارف الذي بقي يتعاظم باستمرار مع الزمن وبقي في تصاعد مستمر حتى في عهد العباسيين الذين كانوا على شاكلة الأمويين فحاربوا الشيعة على جميع الجهات وتعرضوا في عهودهم لأسوأ أنواع العسف والجور الشديد، (الجزائري، ١٤١٨ هـ، ص ٢٩)، وحتى من أتى بعدهم من أحفادهم أمثال الدولة العثمانية التي حاربت جميع أشكال أحياء ذكرى الحسين، وفرضت الغرامات والعقوبات على من يقوم بها ولم يمنع الشيعة جور ظالم أو قوة مقتدر، واستمر ذكر الحسين والبكاء عليه حتى في أصعب الظروف عندما منع النظام السابق في العراق من تأدية الطقوس والشعائر الحسينية ولا سيما زيارة الأربعين الحسينية، وإن دل إصرار الطغاة على منع الشعائر بكل أنواعها إنما يدل على دورها القوي في أحياء النفوس وتهذيب العقول من أجل الإصلاح والإصلاح في الأمة الإسلامية، فلا زالت الدمعة التي تسكب حزناً على الحسين رصاصة في صدر أعدائه، وما زالت الطبول التي تفرع في مواكب عزاء الحسين، أيداناً ببدء الانتفاضة على كل أشكال الظلم، فيخشونها لأنها تذكرهم بما فعله أجدادهم بالحسين وخرجهم عن الدين الحنيف، فكانت وما تزال عنواناً للثورة بكل ما تعنيه من كلمة. (ابن الجوزي: ٢٤٣)

وفي ما يخص لبس السواد على مصاب الحسين عليه السلام وفي تفنيد ادعاءات أعداء الدين، فإن من المتبع لمسيرة الأئمة عليهم السلام، يقرأ عنهم لبسهم للسواد هم واتباعهم من أجل إظهار الحزن والتفجع، وذلك في موارد منها في كتاب المحاسن للبرقي يقول: «

ان الفاطميات والعوائل بعد رجوعهن من كربلاء إلى المدينة لبسن السواد والمسوح، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يطبخ لهم فذكر انه كان يطبخ ويطعم الطعام، لأنهن شغلن بإقامة المأتم على الحسين عليه السلام، ففيه نوع من تقرير المعصوم عليه السلام للبس السواد والمسوح. (الطبري، ١٣٦٥هـ، ص ١٠٨)

هذا وهناك العديد من فتاوى علمائنا الأجلاء في ضرورة الحزن وإقامة الشعائر الحسينية ومنها فتوى السيد محسن الحكيم، واية الله ابو القاسم الخوئي، والعلامة الشاهرودي، واية الله المظفر، والحمامي، والإمام كاشف الغطاء، والسيد الشيرازي، واية الله المرعشي، والإمام السيد السيستاني دام ظلهم. (الديرندي، ص ٢١٣)

ويوم الأربعين هو اليوم العشرون من شهر صفر، وفيه وصلت عائلة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، قادمين من الشام وهم في طريقهم الى المدينة المنورة، وسمي يوم الاربعين لأنه يصادف انقضاء اربعين يوماً على استشهاد الامام الحسين عليه السلام، ويعتبر تحديد او تعيين السنة التي وصلت فيها قافلة الرسول إلى ارض كربلاء بعد رجوعهم من الشام من غوامض المسائل التاريخية، وذلك لوجود بعض الآراء التي تستصعب رجوع القافلة الى كربلاء بنفس العام، مستنديين على طول فترة سفرهم من العراق الى الكوفة وثم الشام وبعدها الرجوع مرة اخرى الى كربلاء في اربعين يوماً، مع الانتباه الى نوعية الوسائل النقلية المتوفرة يومذاك (الديرندي، ص ١٨٧) ورداً على هذا الرأي نقول لعل رجوعهم كان من طريق الاردن إلى المدينة المنورة وحينها وصلوا الى مفترق طرق طلبوا من الحرس الذين رافقوهم من دمشق ان يجعلوا طريقهم نحو العراق وليس الى المدينة، ولم يستطع الحرس الا الخضوع لهذا الطلب والتوجه نحو كربلاء، وهذا ما ذكره السيد بن طاووس في كتابه الملهوف، ولا بد من الاشارة الى العناية الإلهية في هذا الموضوع، وحينما وصلوا الى كربلاء كان

وصولهم يوم العشرين من شهر صفر (الحوثي، ص ١٥٥) وكان الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري قد جاء الى كربلاء يرافقه عطية العوفي، وجماعة من بني هاشم، جاءوا لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، فالتقوا بقافلة البيت الرسول ونصبوا المآتم والعزاء وعلى النحيب والبكاء على قبر الإمام الحسين عليه السلام وعلى اصحابه. (الدربندي، ١٤١٥ هـ، ص ٧٨)

ومن ذلك الحين دأب المؤمنون من اتباع البيت النبي على زيارة الإمام الحسين في اربعينته من كل عام، مشياً على الاقدام متأسيين بزینب العقيلة وبالأمام زين العابدين عليه السلام، وما مشيهم إلا رسائل تبث الى اعداء الاسلام الذين تتجدد صورهم على مر العصور، فكان كل طاغية عصره يمنع الشيعة ومحبي الرسول من ممارسة هذه الشعيرة، لما فيها من معاني ومدلولات فكرية تنفع في كل الأزمنة والدهور، وهي شعلة يستنير بها من اراد ان يسير على خطى الحسين في ثورته ونهضته ضد جميع اشكال الظلم والتعسف (الخبياي، ١٣٦٢ هـ، ص ٢٠٠)، وما زيارة الاربعين إلا صورة متجددة لتلك النهضة الثورية التي اخافت يزيد في زمانه ونجشها احفاده الى يومنا هذا، ولعل تأريخ توثيق الزيارة الاربعينية، دليل دامغ على اهمية هذه الشعيرة، فقد حرص الطغاة على منعها ومعاقبة من يحييها من المؤمنين، فقد شهد تاريخ الخلافة الاموية والعباسية ومن تلاهم من ال عثمان وحتى فترة الطاغية صدام حسين، قد شهدت الشيعة منع وترهيب لهذه الشعيرة، بل ذهب ابعدها من هذا عندما تم قتل كل من ظفر به ماشياً لزيارة الحسين خلال فترة حكمه في العراق، ولم تنني محبي البيت الرسول محمد صلى الله عليه واله، من ممارسة زيارة الاربعين قتلهم ولا تعذيبهم وتشريدهم فبقيت تمارس على طوال تلك السنين والى يومنا هذا. (الصدوق: ص ٤٣)

وأما في اصل زيارة الأربعين للمتوفى، فقد اختلف المؤرخون في كون ان اصل هذه العادة يعود الى زمن الفراعنة المصريين، اذ كانوا يحنطون موتاهم ويقونهم اربعين يوماً، ومن ثم يقومون بدفنهم، وبعد ذلك ينصبون مراسم العزاء، ولعل المسلمون قد اتخذوا من تلك العادة سنة (الطبري، ١٣٦٥ هـ، ص ١٧٨)، ولكن لم يذكر التاريخ ان رسول الله ﷺ قد اقام على ميت اربعين يوماً، الا ان زيارة الاربعين قد اقترنت بأربعينية الامام الحسين (عليه السلام)، وذلك من خلال الروايات التاريخية واقوال البيت الرسول ﷺ، فقد روي عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) انه قال: (علامات المؤمن خمس، صلاة إحدى وخمسون وزيارة الاربعين والجهر بسم الله الرحمن الرحيم، والتختم باليمين) زيارة اربعين مؤمناً، وفي معالجة هذا الطرح نقول ومن خلال استدلالنا من علمائنا الاشراف (القندوزي، ط ١، ١٤١٦ هـ، ص ٥٩)، ان الاحاديث النبوية والإمامية كثيرة عن الحث لزيارة الإخوان وبدون تخصيص عدد، فليس هناك حديث يقول يكفي زيارة اربعين مؤمن ولا يصح اكثر او اقل من ذلك، ومن جانب لغوي إن دخول الألف والام العهدية على كلمة اربعين، إشارة للتنبيه على ان زيارة الاربعين من سنخ الامثلة التي نص عليه الحديث بأنها من علائم الإيثار والموالاة للأئمة الإثني عشر، والام العهدية تدخل على المسند إليه للإشارة الى فرد معهود خارجاً بين المتخاطبين، هذا نظير قوله تعالى: «انا ارسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولاً، فعصى فرعون الرسول فأخذناه اخذاً وبئلا» (المزمل: ١٥) فالرسول محلي باللام العهدية التي تدخل على الاسم المسند اليه، فالرسول في الآية كان معهوداً في زمن فرعون وهو موسى النبي، وفرعون عصى موسى الرسول المعهود يومذاك. (القزويني، ١٤٢٠ هـ، ص ٨٩)

وهنا هكذا فإن الأربعين اسم مسند اليه الألف واللام العهدية حيث ان زيارة الإمام يوم الأربعين من يوم شهادته امر معهود بين الشيعة، لذا لم تقتض الضرورة ذكر قيد لفظي او قرينة لفظية تحدد او تقيد اللفظ المذكور باليوم المعهود وهو العشرون من صفر، فثمة قرينة حالية اوجبت فهم العلماء الاعلام من هذا (القمي، ايران ١٤٠٥هـ، ص ٣١٢)، لا سيما زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) والقرينة الحالية هي السيرة القائمة على زيارته المشرفة في العشرين من صفر. (العاملي، ١٤١٤هـ، ص ١٠٠)

ولنا ان نشير الى ان زيارة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) وهو إمام معصوم يوم الاربعين دليل على الاستحباب، لأن الإمام معصوم عن الخطأ فكل تصرفاته وما يصدر عنه حكمة وصواب، ففعله وقوله وتقريره حجة، ولو لم يكن يوم الأربعين مستحباً لما فعله الإمام زين العابدين وعقائل الوحي والطهارة (عليه السلام). (الطبرسي، ١٤٠٣هـ، ص ٨٩)

ثانياً- الدور النسوي وأهميته في الشعائر الحسينية وانعكاساته على الوعي الاجتماعي والسياسي:

لا شك أن المرأة لعبت دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية والسياسية منذ صدر الإسلام، إذ كانت خديجة (عليها السلام) هي اول من اسلم من النساء، وكانت على درجة مرموقة من الناحية السياسية والاجتماعية في ذلك الوقت، وتلتها ابنتها فاطمة الزهراء (عليها السلام) وما ادته من دور سياسي تمثل بالوقوف مع ابائها (عليهم السلام)، ومن ثم مع زوجها الإمام علي ابن ابي طالب (عليه السلام)، فكانت مهامها متعددة على الصعيد التربوي والاجتماعي لدرجة اطلق عليها رسول الله صلى الله عليه واله «فاطمة أم ابنيها»، وامتد ذلك الأثر الطيب جهاداً وحضوراً في دور العقيلة زينب (عليها السلام)، التي رافقت شقيقها سيد شباب اهل الجنة

في ثورته المباركة ضد التسلط والظلم والطغيان. (الطبري، ١٣٦٥هـ، ص ٢٠٠)

لابد من الإشارة إلى الدور النسوي في اقامة الشعائر الحسينية وانعكاساته على الواقع الاجتماعي بين الماضي والحاضر، فلا شك ان حضور المرأة في المجالس الحسينية قد ترك تأثيراً كبيراً في ربط الأجيال بالقضية الحسينية وغذى النفوس بروح الولاء والتضحية والعطاء، من خلال الممارسات التي كانت تقوم بها المرأة في حضورها الولائي والتقليدي في اقامة الشعائر الحسينية، ولكن مع ذلك فإن المجلس الحسيني النسائي مازال بحاجة الى تطوير واهتمام اكبر خاصة في ظل الكثير من المتغيرات الكبيرة، اذ لا يكفي ان تحتزل القضية الحسينية في صورة ضيقة ترتبط فقط بسرد السيرة العاشورائية والتي يغلب عليها الطابع الرثائي البحت، من التوقف عند المفاهيم الكبيرة للثورة الحسينية والتراث الذي خلفته العترة الطاهرة من ائمة اهل البيت عليهم السلام، من احاديث وروايات وحكم تصب في مختلف الجوانب الحياتية وهذا يستدعي ان نعزز المجلس الحسيني النسائي بمحاضرات تربوية تتناول القضايا المختلفة في حياتنا على الصعيد الاجتماعي والاخلاقي والسياسي انطلاقاً من خطب ابطال كربلاء ومواقفهم الايمانية والبطولية التي جسدها بالعطاء والدم في معركة الشرف والكرامة، (القمي، ايران، ١٤٠٥هـ، ص ١٩٨) وما خطب زينب العقبلة عليها السلام من عمق الإثر وابلغ الحد في شق صف الطغاة من امثال بني امية، وكذلك بقية النسوة المضحيات وفي ذلك مخزون كبير لزيد تربوي واخلاقي ومصنع لصياغة فكر نهضوي قائم على الايمان بالله وبرسوله واهل بيته الاطهار، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وعليه فالحسينية النسائية ينبغي ان تتطور سواء من حيث المضمون او من حيث الاداء وهذا يتطلب ان تتحمل المرأة الرسالية دورها

ومسئوليتها في التصدي للقيام بهذا الدور الكبير من اجل ان نؤدي حق الشعائر الحسينية بالشكل المناسب والافضل. (الدربندي: ١٤١٥هـ، ص ١٢٣)

ان الثورة الحسينية المباركة انطلقت من اجل الدفاع عن حرمة الاسلام ومواجهة الانحراف الذي كان يمثله الحاكم الاموي يزيد بن معاوية وقد اكد الإمام الحسين (عليه السلام)، ثواب الثورة من خلال خطابه واقواله في الدفاع عن الاسلام وقيمة ووصفه ليزيد الطاغية بأنه شارب الخمر وراكب الفجور وقاتل النفس المحرمة، كما اكد الوقوف مع العدل في مقابل الظلم « اني لا ارى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما » كما اكد الإمام على الخط السياسي في الواقع القيادي من خلال هذه الكلمات « ايها الناس ان رسول الله قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً بعهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان»، (المظفر، بيروت، ص ١٠٠) ولهذا فان مواقف الحسين واصحابه كانت واضحة وجليّة في اهدافها وغاياتها وعلينا ان نتأسى بهم وبرسالتهم الثورية، ويترجم ذلك من خلال الشعائر الحسينية التي بحاجة ماسة الى مشاركة نسائية جادة وحقيقية في احياء تلك الشعائر من خلال احياء القيم التي تضمنتها الثورة الحسينية من اخلاق وتربية وایمان، حيث ان الامام الحسين (عليه السلام)، جسّد مواقفاً سامية تثير الإعجاب عندما وقف في وسط المعركة وهو يبكي على الاعداء الذين يدخلون النار بسبب قتله وهم يعلمون انه لا يوجد على الارض امامهم ابن بنت نبي غيره، فجسد بذلك مواقف الانبياء في دعواتهم لأقوامهم ورفقهم بهم كما كان جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). (النقدي، ١٤٢٠هـ، ص ٣٢١)

في الوقت الذي يشكل فيه خطاب الثورة الحسينية، مادة تربوية وأخلاقية فإنه

في الوقت نفسه يشكل إعلاماً هادفاً يستثير العواطف ويغذي النفوس باتجاه التمسك بالحق ورفض الباطل والوقوف إلى جانب الحق، (ابن شهر اشوب، ١٢٧٦هـ) وقد ترك هذا الخطاب بالغ الاثر في الأجيال اللاحقة، فقد كانت خطابات العقيلة زينب عليها السلام التي كانت تتوعد الطاغية يزيد وهو في مجلس الحكم ومع كل الصعوبات وفي ظل الظروف القاسية التي كانت تعاني منها العقيلة زينب عليها السلام، الا انها كانت تتكلم بكل شجاعة وايمان وتتوعد الطاغية في عاصمته وبين جنوده واعوانه، ان هذه الخطابات تؤسس لثورة في مجال الإعلام التربوي والسياسي وهو ما ينبغي على المرأة الرسالية ان تقوم به من خلال جعل خطابات الثورة الحسينية المباركة أرضية واسعة لتأسيس إعلام صادق يقوم على الوضوح والشفافية بعيداً عن الزغرف والإسفاف. (ابن حجر الهيتمي، ط ١، ١٣٨٥هـ)

الخاتمة

تواترت النصوص القرآنية والروائية الدالة على جواز احياء واقامة الشعائر الحسينية، لإظهار الحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام وهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (الشورى: ٢٣)، وأداء واجب الولاية يتطلب المحبة للعترة الطاهرة، ومن ضروريات المحبة إظهار الحزن والاسى ونحوهما.

وتبعاً لكل ما ذكر فإن أهمية الشعائر الحسينية تكمن في الحفاظ على الدين الإسلامي إذا ما روعيت تأديتها مراعاة صحيحة بعيداً عن الرياء والمظاهر الخادعة، فالشعائر الحسينية تؤدي إلى جمع وحدة الكلمة بين صفوف المؤدين لها مما يزيد في قلوبهم المحبة وقيم الخير والرأفة والتعاون والتماسك، فالشعيرة دلالة قوة وتماسك

بين الحسينيين فالاستمرار في أداء الشعائر يؤدي إلى ترويض النفس وخلق حالة من التسامي ضد النزوات والشهوات والغرائز بكل أنواعها.

وتأتي أهميتها في التحضير والاستعداد لإقامة دولة العدل الإلهي الممثلة بظهور الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) والتمهيد له وتأتي أهميتها في نشر مشروعيتهما إلى الأمم والشعوب الأخرى لإيقاظ الوجدان، مما يهيئ بسط مساحة تنويرية من الوعي والثقافة التي لم تصل إليها وعبر طرق متعددة.

المصادر:

١. ابن اشهر اشوب، محمد بن علي : مناقب ال ابي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٢٧٦هـ.
٢. ابن الجوزي، سبط يوسف بن عبد الله: تذكرة الخواص، طهران، ايران، منشورات مكتبة نينوى الحديثة.
٣. ابن حجر الهيتمي، شهاب الدين ابو العباس: الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة، ط ١، ١٣٨٥هـ.
٤. ابي الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن الهيثم: مقاتل الطالبين، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ايران.
٥. ابي الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن الهيثم : الأغاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٣ هـ.
٦. الجزائري، نور الدين: الخصائص الزينية، قم ايران، ١٤١٨هـ، منشورات مكتبة الشريف الرضي.
٧. الحر العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، مؤسسة البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ.

٨. الحسيني، علي بن موسى طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، مطبعة مهر، قم، ١٤١٦هـ.
٩. الخوئي، حبيب: منهاج البراعة، المطبعة الاسلامية، طهران، ط ٤.
١٠. الخياني، علي: وقائع الايام، ايران، ١٣٦٢، منشورات مكتبة المصطفوي.
١١. الدربندي، الفاضل بن عابد بن رمضان: اسرار الشهادات، طبع البحرين، منشورات شركة المصطفى للخدمات الثقافية ١٤١٥هـ.
١٢. شرف الدين، عبد الحسين: النص والاجتهاد، مطبعة سيد الشهداء. قم، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
١٣. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع، بيروت لبنان، ١٤٠٨هـ، منشورات مجمع احياء الثقافة الاسلامية.
١٤. الطبرسي، احمد بن علي: الإحتجاج، تحقيق السيد محمد باقر الخراسان، بيروت، لبنان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٣.
١٥. الطبري، عبد الله: ذخائر العقبى، مكتبة القدسي، ١٣٦٥هـ.
١٦. الطريحي، فخر الدين، المنتخب للطريحي، قم، ١٤١٣، منشورات مكتبة الشريف الرضي.
١٧. العاملي، علي بن يونس: الصراط المستقيم، المكتبة المرتضوية، ط ١، ١٣٨٤هـ.
١٨. العبيدلي، يحيى بن الحسن: أخبار الزينبيات، منشورات مكتبة السيد النجفي المرعشي، قم، ايران، ١٤٠١هـ.
١٩. العظيمي، محمد علي الشاه: الإيقاد، ايران، ١٤١١، منشورات مكتبة الفيروزيابادي.
٢٠. القزويني، رضي: تظلم الزهراء، بيروت، لبنان، ١٤٢٠.
٢١. القمي، عباس: نفس المهموم، ايران، ١٤٠٥، منشورات مكتبة بصيرتي.
٢٢. القندوزي، سليمان بن ابراهيم: ينابيع المودة لذوي القربى، دار الاسوة، ط ١،

١٤١٦هـ.

٢٣. قولويه، محمد بن، كامل الزيارات، النجف الشرف، ١٣٥٦هـ، منشورات المكتبة المرتضوية.

٢٤. المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار. بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ، منشورات مؤسسة الوفاء.

٢٥. المظفر، حسن: نصره المظلوم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦. المفيد، محمد ابن النعمان: الإرشاد، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

٢٧. النقدي، جعفر بن محمد، زينب الكبرى، منشورات المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٢٠هـ.

٢٨. النوري، ميرزا حسين: مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة ال بيت لأحياء التراث، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٩. اليزدي، محمد كاظم: العروة الوثقى، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٣٠. يوسف، جمال الدين: الدرّ النظيم، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، طهران، ١٤٢٠هـ.